الدكتور مصطفى السباعي

الاستشراق والمستشرقون

ما لهم وما عليهم

المكتب الإسلامي

الاستشراق والمستشرقون

ما لهم وما عليهم

تأليف

الدكتور مصطفى السباعي

رحمه الله

المكتب الاسلامي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

طبع هذا الكتاب باذن خاص
من ورثة المؤلف - رحمه الله

المكتب الاسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقيًا: اسلاميًا
دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقيًا: اسلامي

تقـــديم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فإنه لمن المؤسف حقاً ، أن يقف المسلم أمام تاريخه العظيم خجلاً ، مطأطىء الرأس لا يدري كيف يوفق بين ما يعرفه عن تمسك الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ والتابعين وتابعيهم بهذا الدين ، وتفانيهم في خدمته على كافة المستويات ، وبين هذه الصور القاتمة المظلمة في صفحات هذا التاريخ ، فيقف هذا الموقف الذي لا يليق برجل العقيدة في حال من الأحوال .

والسبب في هذا ـ كما هو معلوم ـ أنه عبثت بتاريخنا أيدٍ خبيثة ، ودونته أخرى غير أمينة ، ولا يراد من ذلك إلا تشويه حقيقة تاريخ هذه الأمة ، وتشكيكها في قدرتها على تأدية رسالتها وحملها إلى البشر كلهم .

إننا حين نقرأ التاريخ الذي يتعلمه أبناؤنا ، ويدرسونه في المدارس والجامعات ، نرى ـ بوضوح ـ أثر هذه الحملة المسعورة ضد أمتنا المسلمة وتاريخها المشرق ، والذي يسهر على تنفيذها وتطبيقها أبناؤنا الذين رباهم المستشرقون وأرضعوهم من ألبانهم ، ونفثوا السموم في عقولهم حتى أصبحوا أدوات طيعة في أيدي أسيادهم ، يقولون بألسنتهم ما يشاؤون ، وينفذون عن طريقهم كل ما يحلو لهم ، ويمليه عليهم حقدهم الدفين .

ولنأخذ مثلا على ذلك فترة الحكم العثماني للوطن العربي ، فنجد فيما يحكى عن هذه الفترة العجب العجاب ، فليس الأتراك المسلمون في نظر هؤلاء الا مستعمرين لبلادنا ممتصين لخيراتنا ، وليست رابطة العقيدة التي حملوا لواءها إلا قناعا ، نفذوا من خلاله مآربهم واطماعهم الاستعمارية .

وقد صور لنا هؤلاء الحضارة الإسلامية تصويراً كاذبا مباينا للواقع كل التباين ، وما ذلك الا ليهونوا من شأنها ، وليحتقروا منجزاتها التي قدمتها للبشرية ، ليهون بعد ذلك الإسلام في نفوس اتباعه ، وليحتقروه أيضا .

هذا ولم يقتصر اهتمام المستشرقين والمستغربين على دراسة التاريخ الإسلامي وتشويهه ، بل تعداه إلى الدراسات الإسلامية من تفسير وحديث وفقه ، فحرفوا النصوص حينا ، وأساؤوا فهمها حين لم يجدوا المجال لتحريفها .

وإنه لمن المؤسف أيضا أن تكون كتبهم قد بحثت في كل ما يتصل بالإسلام والمسلمين من تفسير وحديث وفقه وأدب وحضارة وسكان و ... فأصبحت كتبهم هذه المراجع الأولى لطلبة العلم المتخصصين في المعاهد والجامعات العالمية ، وأصبح هؤلاء هم حملة آراء وافكار أسيادهم كما تقدم .

لهذا كله ـ وغيره كثير ـ تصدى بعض علماء المسلمين الذين يغارون على هذا الدين وأمة القرآن العظيم : تصدوا لمحاولات المستشرقين وفضحها وكشفها للناس على حقيقتها . هذه الرسالة ـ الصغيرة في حجمها ، العظيمة في معانيها ـ هي بعض ما كتبه والدي الشيخ مصطفى السباعي ـ طيب الله ثراه ـ حول هذا الموضوع ، وكان ينوي توسيعه والزيادة فيه ، لما لهذا البحث من أهمية بالغة وخطورة كبيرة .

وقد سبق أن نشرت بعض محتويات هذه الرسالة (١) في مجلة « حضارة الاسلام » وكتاب «السنة ومكانتهافي التشريع الاسلامي »، وقد وافته المنية قبل أن يحقق ما كان يأمله ، فأصبحت أمانة في عنق العاملين في حقل الدعوة الاسلامية ، والغيورين عليها .

فرحمه الله رحمة واسعة ، وأمطره سحائب الرحمة والرضوان، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

حسان مصطفى السباعي

---

(١) وقد طبعتها منفردة سنة ١٩٦٨ ، مكتبة دار البيان ـ الكويت ، من غير أن نعلم ،وكم كنا نرغب إعلامنا بذلك ، فإن صاحب الشعور الطيب والرغبة الحسنة لا يضره مثل هذا الإخبار .

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستشراق والمستشرقون بحث لم يعن أحد من الكاتبين بأمرهما عناية علمية واسعة تبحث عن تاريخ الاستشراق وأهدافه ومراميه وحسناته وسيئاته ، وعن المستشرقين وطوائفهم وأعمالهم وما أصابوا وما أخطأوا فيه من أبحاث ومؤلفات ، وكل ما كتب في هذا الموضوع لا يخلو عن أن يكون تمجيداً لهم مثل كتاب « المستشرقون » للأستاذ نجيب العقيقي ، أو أن يكون كشفاً موجزاً عن أهدافهم التبشيرية والاستعمارية، وأهم بحث في هذا الشأن محاضرة قيمة للأستاذ الدكتور محمد البهي المدير العام للثقافة الاسلامية في الجامع الأزهر ألقاها في قاعة المحاضرات الكبرى الأزهرية .

وقد أفرط منا أناس في الثقة بهم والاعتماد عليهم والثناء المطلق على جهودهم ويمثل هؤلاء المعجبين بهم الدكتور طه حسين من أوائل تلاميذ المستشرقين في تاريخنا الادبي المعاصر ، حيث يقول في مقدمة كتابه « الأدب الجاهلي »:

« وكيف تتصور أستاذاً للأدب العربي لا يلم ولا ينتظر أن يُلم بما انتهى إليه الفرنج (المستشرقون) من النتائج العلمية

المختلفة حين درسوا تاريخ الشرق وأدبه ولغاته المختلفة ، وإنما يلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس ، ولا بد من التماسه عندهم حتى يتاح لنا نحن أن ننهض على أقدامنـــا ونطير بأجنحتنا ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وتاريخنا وآدابنا ».

ولا ريب في أن هذا الكلام يمثل دوراً من أدوار العبودية الفكرية التي مررنا بها في مطلع نهضتنا العلميةوالفكرية الحديثة، وهذه العبودية تتمثل في كتاب الدكتور طه حسين نفسه « الأدب الجاهلي » الذي كان ترديـــداً مخلصاً لآراء غلاة المستشرقين المتعصبين ضد العرب والاسلام أمثال « مرجليوث » الذي نقل آراءه كلها في كتابه « الأدب الجاهلي » ونسبها إلى نفسه وليس له في الكتاب رأي جديـد نتيجة بحث علمي قام بـه أو تعب في سبيله .

ويمثل هؤلاء أيضاً الاستاذ أحمد أمين في كتابيـــه « فجر الاسلام » و « ضحى الاسلام » وقد بينت ما في فصل «الحديث» من كتاب « فجر الاسلام » من سرقة لآراء المستشرقين دون أن ينسبها إليهم في كتابي الذي صدر حديثـاً « السنة ومكانتها في التشريـع الاسلامي » .

ومن هؤلاء أيضاً الدكتور علي حسن عبد القادر في كتابـه « نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي » وهو ترجمة حرفية لما كتبه جولدتسيهر في كتابيـه « دراسات اسلامية » و « العقيدة

والشريعة في الاسلام » وكذلك كان كسابقيه غير أمين حين نسب هذه الآراء إلى نفسه ولم ينسبها إلى أساتيذه المستشرقين .

والدكتور علي حسن عبد القادر يشغل الآن منصب – مدير المركز الثقافي الاسلامي بلندن على ما بلغني – ولقد كانت لي معه قصة أجد من الخير ذكرها هنا لما فيها من العبرة ... وهي التي كانت سبباً في تأليفي لكتاب « السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي » . وقبل أن أروي قصتي معه أحب أن أعترف بفضله ودماثة خلقه واعترافه بالحق حين يظهر له ..

لما كنا طلاباً في السنة الثانية والثالثة في قسم تخصص المادة في الفقه والأصول وتاريخ التشريع « العالمية من درجة أستاذ » في كلية الشريعة ، وكان ذلك عام ١٩٣٩ ، عينت مشيخة الأزهر في عهد الشيخ المراغي رحمه الله ، الدكتور علي حسن عبد القادر أستاذاً لنا يدرس تاريخ التشريع الاسلامي ، وكان قد أنهى دراسته في ألمانيا حديثاً ، وهو مجاز من كلية أصول الدين في قسم التاريخ ، ومكث في ألمانيا أربع سنوات حتى أخذ شهادة الدكتوراه في قسم الفلسفة على ما أذكر .

كان أول درس تلقيناه عنه أن بدأه بمثل هذا الكلام : إني سأدرس لكم تاريخ التشريع الاسلامي ، ولكن على طريقة علمية لا عهد للأزهر بها ، واني أعترف لكم بأني تعلمت في الأزهر قرابة أربعة عشر عاماً فلم أفهم الاسلام ولكني فهمت الاسلام

حين دراستي في ألمانيا ، فعجبنا – نحن الطلاب – من مثل هذا القول وقلنا فيما بيننا : لنستمع إلى استاذنا لعله حقاً قد علم شيئاً جديراً بأن نعلمه عن الاسلام مما لا عهد للأزهر به ، وابتدأ درسه عن تاريخ السنة النبوية ترجمة حرفية عن كتاب ضخم بين يديه ، علمنا فيما بعد أنه كتاب جولد تسيهر « دراسات إسلامية » وكان أستاذنا ينقل عبارته ويتبناها على أنها حقيقة علمية ، واستمر في دروسه نناقشه فيما يبدو لنا – نحن الطلاب – إنه غير صحيح ، فكان يأبى أن يخالف جولد تسيهر بشيء مما ورد في هـذا الكتاب ، حتى إذا وصل في دروسه إلى الحـديث عن الزهري واتهامـه بوضع الاحاديث للأمويين ناقشته في ذلك – بحسب معلوماتي المجملة عن الزهري من أنه إمام في السنة ، موضع ثقة العلماء جميعاً – فلم يرجع عن رأيه ، مما حملني على أن أطلب منه ترجمة ما قاله جولد تسيهر عن الزهري تماماً ، فترجمـه لي في ورقتين بخط يده ، وبدأت أرجع إلى المكتبات العامة للتحقيق في سيرة الزهري وفي حقيقة ما اتهمه بـه هذا المستشرق ، ولم أترك كتابا مخطوطاً في مكتبة الأزهر وفي دار الكتب المصرية من كتب التراجم إلا رجعت إليهـا ونقلت منها ما يتعلق بالزهري ، واستغرق ذلك ثلاثة أشهر كنت أشتغل فيها منـذ مغادرتي كلية الشريعة بعد الدرس حتى أواخر الليل ، فلمـا تجمعت لدي المعلومات الصحيحة ، قلت لأستاذنا الدكتور عبد القادر : لقد تبين لي أن جولد تسيهر قـد حرّف نصوص

الأقدمين فيما يتعلق بالزهري ، فأجابني بقوله : لا يمكن هذا ، لأن المستشرقين ـ وخاصة جولد تسيهر ـ قوم علماء منصفون لا يحرفون النصوص ولا الحقائق !..

عندئذ أزمعت على إلقاء محاضرة في الموضوع في دار جمعية الهداية الاسلامية ـ قرب سراي عابدين قديماً ـ وأرسلت إدارة الجمعية بطاقات الدعوة لهذه المحاضرة إلى علماء الأزهر وطلابه، فاجتمع يومئذ عدد كبير منهم ما بين أساتذة وطلاب ، ومن بينهم أستاذنا الدكتور عبد القادر ـ الذي رجوته حضور هذه المحاضرة ، وإبداء رأيه فيما أقول ، فتفضل مشكوراً بالحضور وأصغى إلى المحاضرة كلها التي كانت تدور حول ما كتبه جولد تسيهر عن الامام الزهري ، وختمتها بقولي : هذا هو ما أراه في هذا الموضوع ، وهذا هو رأي علمائنا في الزهري فإن كان لأستاذنا الدكتور عبد القادر مناقشة حول هذا الموضوع إن لم لم يقتنع بما ذكرته ، فأرجو أن يتفضل بالكلام، فنهض الدكتور حفظه الله وقال بصوت سمعه الحاضرون جميعاً : إني أعترف بأني لم أكن أعرف من هو الزهري حتى عرفته الآن . وليس لي اعتراض على كل ما ذكرته ، وانفض الاجتماع ، ثم دخلنا إلى غرفة الاستاذ السيد الخضر حسين رحمه الله رئيس الجمعية ـ الاستاذ الأكبر للجامع الأزهر فيما بعد ـ فكان مما قاله لي أستاذنا الدكتور حفظه الله ـ وكان ذلك بحضور السيد الخضر حسين رحمه الله ـ: إن بحثك هذا فتح جديد في بحوث المستشرقين ، وأرجو أن

تعطيني نسخة من هذه المحاضرة لأبعث بها إلى المجلات العلمية التي تعنى ببحوث المستشرقين في ألمانيا، وإني أعتقد أنها ستحدث دوياً في أوساط المستشرقين ، فشكرته على ذلك واعتبرته تشجيع أستاذ لتلميذه .

وبعد أيام دعاني لزيارته في البيت ، فكان مما اتفقنا عليه أن نتفرغ معاً في الصيف لترجمة كتاب جولد تسيهر والرد عليه، ولكني اعتقلت بعد ذلك من قبل السلطات العسكرية الانجليزية في القاهرة في بدء قيام الحرب العالمية الثانية وأقصيت عنها سبع سنوات، وفي خلال هذه الفترة أصدر الدكتور عبد القادر كتابه « نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي » ولم يتح لي الاطلاع عليه إلا بعد ثلاث سنوات حين أفرج عني في أواسط الحرب الأخيرة .

هذه هي قصتي مع الدكتور علي حسن عبد القادر، وأظن أنه عدل عن رأيه السابق في المستشرقين وخاصة جولد تسيهر، وبدّل رأيه في أمانته وإخلاصه للحق وعدم تحريفه للنصوص .

ويقابل هذا الاتجاه المفرط في الثقة ببحوث المستشرقين اتجاه يحمل على المستشرقين واتجاهاتهم المغرضة المفرطة في التعصب ، ويمثله قول أحمد فارس الشدياق في كتابه « ذيل الفارياق » :

إن هؤلاء الاساتيذ (المستشرقين) لم يأخـــذوا العلم عن شيوخه ، وإنما تطفلوا عليه تطفلاً ، وتوثبوا فيه توثبـاً ، ومن تخرج فيه بشيء فإنمـا تخرج على القسس ، ثم أدخـل رأسه في أضغاث أحلام ، أو أدخل أضغاث أحلام في رأسه وتوهم أنه يعرف شيئاً وهو يجهله ، وكل منهم إذا درس في احدى لغات الشرق أو ترجم شيئاً منها تراه يخبط فيهـا خبط عشواء ، فما اشتبه عليه منها رقعه من عنده بما شاء ، وما كان بـين الشبهة واليقين حدس فيه وخمّن فرجح منـــه المرجوح ، وفضل المفضول » .

وفي الحق أن كلا من الثناء المطلق والتحامل المطلق يتنافى مع الحقيقة التاريخية التي سجلها هؤلاء المستشرقون فيما قاموا به من أعمال ، وما تطرقوا إليه من أبحاث ، ونحن من قوم يأمرهم دينهم بالعدل حتى مع أعدائهم « ولا يجرمنّكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى » .

تاريخ الاستشراق

لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عنى بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك ، ولكن المؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها وتثقفوا في مدارسها وترجموا القرآن والكتب العربية الى لغاتهم وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب

والرياضيات ..

ومن أوائل هؤلاء الرهبان ، الراهب الفرنسي «جربرت» Jerbert الذي انتخب باباً لكنيسة روما عام ٩٩٩ م بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودتـــه إلى بلاده ، و « بطرس المحترم ١٠٩٢ - ١١٥٦ Pierrele Aénéré » و « جـــيرار دي كريمون ١١١٤ - ١١٨٧ Gérard de Grémone ».

وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان الى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم ، ثم أسست المعاهد للدراسات العربيـة أمثال مدرسة « بادوي » العربية ، وأخذت الاديرة والمدارس العربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية ـ وهى لغة العلم في جميع بلاد أوروبا يومئذ ـ واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب وتعتبرها المراجـع الاصلية للدراسة قرابة ستة قرون .

ولم ينقطع منـذ ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الاسلام واللغة العربية وترجموا القرآن وبعض الكتب العربية العلمية والأدبية حتى جاء القرن الثامن عشر ـ وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الاسلامي والاستيلاء على ممتلكاته فإذا بعدد من علماء الغرب ينبغون في الاستشراق ويصدرون لذلك المجلات في جميع الممالك الغربية، ويغيرون على المخطوطات العربية في البلاد العربية والاسلامية فيشترونها من أصحابهـــا الجهلة ، أو يسرقونها من المكتبات العامة التي كانت في نهايـة

الفوضى ، وينقلونها الى بلادهم ومكتباتهم ، وإذا بأعداد هائلة من نوادر المخطوطات العربية تنتقل إلى مكتبات أوربا ، وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلداً وما زال هذا العدد يتزايد حتى اليوم .

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام ١٨٧٣ ، وتتالى عقد المؤتمرات التي تلقى فيها الدراسات عن الشرق وأديانه وحضاراته وما تزال تعقد حتى هذه الأيام .

ميدان الاستشراق

بدأ الاستشراق كما رأينا بدراسة اللغة العربية والاسلام ، وانتهى ـ بعد التوسع الاستعماري الغربي في الشرق ـ إلى دراسة جميع ديانات الشرق وعاداته وحضاراته وجغرافيته وتقاليده وأشهر لغاته ، وإن كانت العناية بالإسلام والآداب العربية والحضارة الإسلامية هي أهم ما يعنى به المستشرقون حتى اليوم ، نظراً للدوافع الدينية والسياسية التي شجعت على الدراسات الشرقية كما سنذكره فيما بعد .

دوافع الاستشراق

١ ـ الدافع الديني : لا نحتاج إلى استنتاج وجهد في البحث لنتعرف إلى الدافع الأول للاستشراق عند الغربيين وهو الدافع

الديني . فقد بدأ بالرهبان كما رأينا ـ واستمر كذلك حتى عصرنا الحاضر كما سنرى ـ وهـؤلاء كان يهمهم أن يطعنوا في الاسلام ويشوّهوا محاسنه ويحرّفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الاسلام ـ وقد كان يومئذ الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين ـ دين لا يستحق الانتشار ، وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفاكو دمـاء ، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي . ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة عند الغربيين وأخذت تشككهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى ، فلم يجدوا خـــيراً من تشديد الهجوم على الاسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقـــد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة ، وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الاسلامية الاولى ثم الحروب الصليبية ثم الفتوحات العثمانية في اوروبا بعد ذلك في نفوس الغربيين من خوف من قوة الاسلام وكره لأهله ، فاستغلوا هذا الجو النفسي وازدادوا نشاطاً في الدراسات الاسلامية .

وهنالك الهـــدف التبشيري الذي لم يتناسوه في دراساتهم العلمية وهم قبل كل شيء رجال دين، فأخذوا يهدفون إلى تشويه سمعة الاسلام في نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين لإدخال الوهن إلى العقيدة الاسلامية والتشكيك في التراث الاسلامي والحضارة الاسلامية وكل ما يتصل بالاسلام من علم وأدب وتراث .

٢ ـ الدافع الاستعماري : لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين وهي في ظاهرها حروب دينية وفي حقيقتها حروب استعمارية لم ييأس الغربيون من العودة الى احتلال بلاد العرب فبلاد الاسلام ، فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات ، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها ، وإلى مواطن الضعف فيغتنموه ، ولما تمّ لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا ، وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث ، وما عندنا من عقيدة وقيم انسانية ، فنفقد الثقة بأنفسنا ، ونرتمي في أحضان الغرب نستجدي منه المقاييس الاخلاقية والمبادىء العقائدية ، وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضارتهم وثقافتهم خضوعاً لا تقوم لنا من بعده قائمة .

أنظر إليهم كيف يشجعون في بلادنا القوميات التاريخية التي عفى عليها الزمن ، واندثرت منذ حمل العرب رسالة الاسلام ، فتوحدت لغتهم وعقيدتهم وبلادهم ، وحملوا هذه الرسالة إلى العالم فأقاموا بينهم وبين الشعوب روابط انسانية وتاريخية وثقافية ازدادوا بها قوة وازدادت الشعوب بها رفعة وهداية ، إنهم ما برحوا منذ نصف قرن يحاولون إحياء الفرعونية في مصر ، والفينيقية في سوريا ولبنان وفلسطين ، والاشورية في العراق وهكذا ،

ليتسنى لهم تشتيت شملنا كأمة واحدة، وليعوقوا قوة الاندفاع التحررية عن عملها في قوتنا وتحررنا وسيادتنا على أرضنا وثرواتنا وعودتنا من جديد إلى قيادة ركب الحضارة ، والتقائنا مع خوتنا في العقيدة والمثل العليا والتاريخ المشترك والمصالح المشتركة .

٣ ـ الدافع التجاري : ومن الدوافع التي كان لها أثرها في تنشيط الاستشراق ، رغبة الغربيين في التعامل معنا لترويج بضائعهم وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الاثمان ولقتل صناعتنا المحلية التي كانت لها مصانع قائمة مزدهرة في مختلف بلاد العرب والمسلمين .

٤ ـ الدافع السياسي : وهنالك دافع آخر أخذ يتجلى في عصرنا الحاضر بعد استقلال أكثر الدول العربية والاسلامية ، ففي كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى هذه الدول سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة فيتعرف إلى أفكارهم، ويبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته ، وكثيراً ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير في الماضي حين كان السفراء الغربيون ـ ولا يزالون في بعض البلاد العربية والاسلامية ـ يبثون الدسائس للتفرقة بين الدول العربية بعضها مع بعض ، وبين الدول العربية والدول الاسلامية ، بحجة توجيه النصح

وإسداء المعونة بعد أن درسوا تماماً نفسية كثيرين من المسؤولين في تلك البلاد ، وعرفوا نواحي الضعف في سياستهم العامة ، كما عرفوا الاتجـــاهات الشعبية الخطـيرة على مصالحهـم واستعمارهم .

٥ ـ الدافع العلمي : ومن المستشرقين نفر قليل جداً أقبلوا على الاستشراق بدافـــع من حب الاطلاع على حضارات الامم وأديانها وثقافاتها ولغاتها ، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأً في فهم الاسلام وتراثه، لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس والتحريف، فجاءت أبحـــاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين ،بل ان منهم من اهتدى الى الاسلام وآمن برسالته .على أن هؤلاء لا يوجدون الا حين يكون لهم من الموارد الماليـــة الخاصة ما يمكنهم من الانصراف الى الاستشراق بأمانة واخلاص ، لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى ، لا تلقى رواجاً ، لا عند رجال الدين ، ولا عند رجال السياسة، ولا عند عامة الباحثين ، ومن ثمة فهي لا تدر عليهم ربحـاً ولا مالاً ، ولهذا ندر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين .

أهداف الاستشراق ووسائله

تنقسم أهـــداف المستشرقين في جملتهم من الـــدراسات الاستشراقية إلى ثلاثة أقسام :

أ ـ هدف علمي مشبوه ، ويهدف الى :

١ ـ التشكيك بصحـــة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ومصدرها الالهي ، فجمهورهم ينكر أن يكون الرسول نبياً موحى إليه من عند الله جل شأنه ، ويتخبطون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحياناً ، وبخاصة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، فمن المستشرقين من يرجع ذلك الى « صرع » كان ينتاب النبي صلى الله عليه وسلم حيناً بعد حين ، ومنهم من يرجعه إلى تخيلات كانت تملأ ذهن النبي ﷺ ، ومنهم من يفسرها بمرض نفسي ، وهكذا ، كأن الله لم يرسل نبياً قبله حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة الوحي ، ولما كانوا كلهم ما بين يهود ومسيحيين يعترفون بأنبياء التوراة ، وهم كانوا أقـــل شأناً من محمد صلى الله عليه وسلم فى التاريخ والتأثير والمبادىء التي نادى بهـــا ، كان إنكارهم لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم تعنتاً مبعثه التعصب الديني الذي يملأ نفوس أكثرهم كرهبان وقسس ومبشرين .

ويتبع ذلك إنكارهم أن يكون القرآن كتاباً منزلاً عليه من عند الله عز وجل ، وحين يفحمهم ما ورد فيـه من حقائق تاريخية عن الامم الماضية مما يستحيل صدوره عن أمي مثل محمد صلى الله عليه وسلم ، يزعمون ما زعمه المشركون الجاهليون في

عهد الرسول من أنه استمد هذه المعلومات من أناس كانوا يخبرونه بها ، ويتخبطون في ذلك تخبطاً عجيباً ، وحين يفحمهم ما جاء في القرآن من حقائق علمية لم تعرف وتكتشف إلا في هـــذا العصر ، يرجعون ذلك إلى ذكاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقعون في تخبط أشد غرابة من سابقه .

٢ - ويتبع إنكارهم لنبوة الرسول وسماوية القرآن ، إنكارهم أن يكون الاسلام ديناً من عند الله وإنما هو ملفق - عندهم - من الديانتين اليهودية والمسيحية ، وليس لهم في ذلك مستند يؤيده البحث العلمي وإنما هي ادعاءات تستند على بعض نقاط الالتقاء بين الاسلام والدينين السابقين .

ويلاحظ أن المستشرقين اليهود - أمثـــال جولد تسيهر وشاخت - هم أشد حرصاً على ادعـــاء استمداد الاسلام من اليهودية وتأثيرها فيه ، أما المستشرقون المسيحيون فيجرون وراءهم في هذه الدعوى إذ ليس في المسيحية تشريع يستطيعون أن يزعموا تأثر الاسلام به وأخذه منه ، وإنمـــا فيه مبادىء اخلاقية زعموا أنها أثرت في الاسلام ، ودخلت عليه منها ، كأن المفروض في الديانات الإلهية أن تتعارض مبادؤها الاخلاقيـــة ، وكأن الذي أوحى بدين هو غير الذي أوحى بدين آخر ، فتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

٣ - التشكيك في صحة الحديث النبوي الذي اعتمـــده

علماؤنا المحققون، ويتذرع هؤلاء المستشرقون بما دخل على الحديث النبوي من وضع ودس ، متجاهلين تلك الجهود التي بذلها علماؤنا لتنقية الحديث الصحيح من غيره ، مستندين الى قواعد بالغة الدقة في التثبت والتحري ، مما لم يعهد عندهم في ديانتهم عشر معشاره في التأكد من صحة الكتب المقدسة عندهم ، وقد ناقشتهم في ذلك نقاشاً علمياً في كتابي : « السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي » الذي صدر حديثاً .

والذي حملهم على ركوب متن الشطط في دعواهم هذه ، ما رأوه في الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا من ثروة فكرية وتشريعية مدهشة وهم لا يعتقدون بنبوة الرسول ، فادعوا أن هذا لا يعقل أن يصدر كله عن محمد الأمي بل هو عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى ، فالعقدة النفسية عندهم هي عدم تصديقهم بنبوة الرسول ، ومنها ينبعث كل تخبطاتهم وأوهامهم .

٤ ـ التشكيك بقيمة الفقه الاسلامي الذاتية ، ذلك التشريع الهائل الذي لم يجتمع مثله لجميع الأمم في جميع العصور ، لقد سقط في أيديهم حين اطلاعهم على عظمته وهم لا يؤمنون بنبوة الرسول ، فلم يجدوا بداً من الزعم بأن هذا الفقه العظيم مستمد من الفقه الروماني ، أي أنه مستمد منهم ـ الغربيين ـ وقد بيَّن علماؤنا الباحثون تهافت هذه الدعوى ، وفيما قرره مؤتمر القانون المقارن المنعقد بلاهاي من أن الفقه الإسلامي فقه مستقل بذاته

وليس مستمداً من أي فقـــه آخر ، ما يفحم المتعنتين منهم ، ويقنع المنصفين الذين لا يبغون غير الحق سبيلاً .

٥ ـ التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي ، لنظل عالة على مصطلحاتهم التي تشعرنـــا بفضلهم وسلطانهم الأدبي علينا ، وتشكيكهم في غنى الأدب العربي ، وإظهاره مجدبـــاً فقيراً لنتجه إلى آدابهم ، وذلك هو الاستعمار الأدبي الذي يبغونه مع الاستعمار العسكري الذي يرتكبونه ..

تلك هي الاهداف العلمية التي يعمل لها أكثرهم أو جمهرتهم الساحقة .

ب ـ الاهداف الدينية والسياسية ، وتتلخص فيما يلي :

١ - تشكيك المسلمين بنبيهم وقرآنهم وشريعتهم وفقههم ، ففي ذلك هدفان ديني واستعماري .

٢ – تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري ، يدّعون أن الحضارة الاسلامية منقولة عن حضارة الرومـــان ، ولم يكن العرب والمسلمون إلا نقلة لفلسفة تلك الحضارة وآثارها ، لم يكن لهم إبداع فكري ولا ابتكار حضاري ، وكان في حضارتهم كل النقائص ، وإذا تحدثوا بشيء عن حسناتها – وقليلاً ما يفعلون – يذكرونها على مضض مع انتقاص كبير .

٣ – إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم ، وبث روح الشك في كل ما بين أيديهم من قيم وعقيدة ومثل عليا ، ليسهل على الاستعمار

تشديد وطأته عليهم ،ونشر ثقافته الحضارية فيما بينهم ،فيكونوا عبيداً لها ، يجرهم حبها إلى حبهم أو اضعاف روح المقاومة في نفوسهم .

٤ ـ إضعاف روح الإخاء الاسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الاسلام، وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم ، وكذلك يفعلون في البلاد العربية ، يجهدون لمنع اجتماع شملها ووحدة كلمتها بكل ما في أذهانهم من قدرة على تحريف الحقائق ، وتصيُّد الحوادث الفردية في التاريخ ليصنعوا منها تاريخاً جديداً يدعو إلى ما يريدون من منع الوحدة بين البلاد العربية والتفاهم على الحق والخير بين جماهيرها .

جـ ـ أهداف علمية خالصة لا يقصد منها الا البحث والتمحيص، ودراسة التراث العربي والاسلامي دراسة تجلو لهم بعض الحقائق الخافية عنهم ، وهذا الصنف قليل عدده جداً ،وهم مع اخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الاخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق ، إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية ، وإما لجهلهم بالأجواء الاسلامية التاريخية على حقيقتها ،فيحبون أن يتصوروها كما يتصورون مجتمعاتهم ،ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والزمنية التي تفرق بين الاجواء التاريخية التي يدرسونها ، وبين الاجواء الحاضرة التي يعيشونها .

وهذه الفئة أسلم الفئات الثلاثة في أهدافها ، وأقلها خطراً ، إذ سرعان ما يرجعون إلى الحق حين يتبين لهم، ومنهم من يعيش بقلبه وفكره في جو البيئة التي يدرسها ، فيأتي بنتائج تنطبق مع الحق والصدق والواقع، ولكنهم يلقون عنتاً من أصحاب الهدفين السابقين ، إذ سرعان ما يتهمونهم بالانحراف عن النهج العلمي ، أو الانسياق وراء العاطفة ،أو الرغبة في مجاملة المسلمين والتقرب إليهم ، كما فعلوا مع « توماس أرنولد » حين أنصف المسلمين في كتابه العظيم « الدعوة إلى الاسلام »فقد برهن على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الـــدين ،على عكس مخالفيهم معهم ، هذا الكتاب الذي يعتبر من أدق وأوثق المراجـع في تاريخ التسامح الديني في الاسلام ، يطعن فيـــه المستشرقون المتعصبون وخاصة المبشرين منهم ، بأن مؤلفه كان مندفعـــاً بعاطفة قوية من الحب والعطف على المسلمين، مع أنه لم يذكر فيه حادثة الا أرجعها إلى مصدرها .

ومن هؤلاء من يؤدي بهم البحث الخالص لوجـــه الحق إلى اعتناق الاسلام والدفاع عنه في أوساط أقوامهم الغربيين،كما فعل المستشرق الفرنسي الفنان « دينيه » الـــذي عاش في الجزائر فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامـــه وتسمى باسم « ناصر الدين دينيه » وألّف مع عالم جزائري كتاباً عن سيرة الرسول ﷺ، وله كتاب« أشعة خاصة بنور الاسلام »بيّن فيه تحامل قومه على الاسلام ورسوله،وقد توفي هذا المستشرق المسلم في فرنسا، ونقل

جثمانه إلى الجزائر ودفن فيها .

وَسَائِلُ المُسْتَشْرِقِينَ لِتَحْقِيقِ أَهْدَافِهِمْ

لم يترك المستشرقون وسيلة لنشر أبحاثهم وبث آرائهم إلا سلكوها ، ومنها :

١ ـ تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الاسلام واتجاهاته ورسوله وقرآنه ، وفي اكثرها كثير من التحريف المتعمد في نقل النصوص أو ابتسارها وفي فهم الوقائع التاريخية والاستنتاج منها .

٢ ـ إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الاسلام وبلاده وشعوبه .

٣ ـ ارساليات التبشير إلى العالم الاسلامي لتزاول أعمالاً إنسانية في الظاهر كالمستشفيات والجمعيات والمدارس والملاجىء والمياتم ،ودور الضيافة كجمعيات الشبان المسيحية وأشباهها .

٤ ـ إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعياتَ العلمية ، ومن المؤسف أن أشدهم خطراً وعداءً للاسلام كانوا يستدعون إلى الجامعات العربية والاسلامية في القاهرةودمشق وبغداد والرباط وكراتشي ولاهور وعليكرة وغيرها ليتحدثوا عن الاسلام !..

٥ ـ مقالات في الصحف المحلية عندهم، وقد استطاعوا شراء

عدد من الصحف المحلية في بلادنا وقد جاء في كتاب « التبشير والاستعمار » للدكتورين عمر فروخ ومصطفى الخالدي وهو من أهم الوثائق التاريخية عن نشاط المستشرقين والمبشرين لخدمة الاستعمار [1] ما يلي :

« يعلن المبشرون انهم استغلوا الصحافة المصرية على الاخص للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر مما استطاعوا في أي بلد اسلامي آخر ، لقد ظهرت مقالات كثيرة في عدد من الصحف المصرية ، إما مأجورة في أكثر الاحيان ، أو بلا اجرة في أحوال نادرة ».

٦ ـ عقد المؤتمرات لإحكام خططهم في الحقيقة ، ولبحوث عامة في الظاهر ، وما زالوا يعقدون هذه المؤتمرات منذ عام ١٧٨٣ حتى الآن .

٧ ـ إنشاء الموسوعة « دائرة المعارف » الاسلامية ، وقد أصدروها بعدة لغات ، وبدأوا باصدار طبعة جديدة منها ، وقد اطلعت على الأجزاء الأولى للطبعة الثانية من سكرتير الموسوعة حين زرت أكسفورد عام ١٩٥٦ ، وقد بدىء بترجمة الطبعة الأولى إلى اللغة العربية ، وصدر منها حتى الآن ثلاثة عشر مجلداً . وفي هذه الموسوعة التي حشد لها كبار المستشرقين وأشدهم

---

١ ـ هذا الكتاب يجب على كل مثقف مسلم قراءته وقد طبع مرتين في بيروت وحاول بعض اذناب الاستعمار في العهد الماضي منع تداوله في سورية العربية المسلمة .

عداءً للاسلام ، قد دس السم في الدسم ، وملئت بالأباطيل عن الاسلام وما يتعلق به . ومن المؤسف انهـــا مرجع لكثير من المثقفين عندنا بحيث يعتبرونها حجة فيما تتكلم به ، وهـذا من مظاهر الجهل بالثقافة الاسلامية وعقدة النقص عنـــد هؤلاء المثقفين .

هذه كلمـــة موجزة عن المستشرقين وأصنافهم وأهدافهم ووسائلهم ، ونرى من إتمام الفائدة للقراء أن نذيلها بذكر أخطر المستشرقين المعاصرين وأهم كتبهم ، وبأهم المجلات التي يصدرها المستشرقون في الدول الاستعمارية الكبرى [1] .

أَهَمُّ المجلَّات الَّتي يُصدِرُونَهَا

أ ـ في عام ١٧٨٧ أنشأ الفرنسيون جمعيـــة للمستشرقين ألحقوها بأخرى في عام ١٨٢٠ ، ثم أصدروا « المجلة الآسيوية ».

ب ـ وفي لندن تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية في عام ١٨٢٣ ، وقبل الملك أن يكون ولي أمرها ، وأصدرت « مجلة الجمعية الآسيوية الملكية » .

---

١ ـ هـذا التثبت بأسماء مجلات المستشرقين وأسماء مشاهيرهم وكتبهم مأخوذة من محاضرة للدكتور محمد البهي بعنوان : المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الاسلام .

جـ ـ وفي عام ١٨٤٢ أنشأ الامريكيون جمعية ومجلة باسم « الجمعية الشرقية الامريكية »وفي العام نفسه أصدر المستشرقون الالمان مجلة خاصة بهم ، وكـــذلك فعل المستشرقون في كل من النمسا وايطاليا وروسيا .

د ـ ومن المجلات التي أصدرها المستشرقون الامريكيون في هذا القرن « مجلة جمعية الدراسات الشرقية » وكانت تصدر في مدينة جامبير Gambier بولاية Ohio ولها فروع في لنـــدن وباريس وليبزج ،وتورونتو في كندا،ولا يعرف إن كانت تصدر الآن ، وطابعها العام على كل حال طابع الاستشراق السياسي وإن كانت تعرض من وقت لآخر لبعض المشكلات الدينية ، وخاصة في باب الكتب .

هـ ـ ويصدر المستشرقون الامريكيون في الوقت الحاضر ، « مجلة شؤون الشرق الاوسط » . وكذلك « مجـــلة الشرق الاوسط » . وطابعها على العموم طابع الاستشراق السياسي كذلك .

و ـ وأخطر المجلات التي يصدرهـــا المستشرقون الامريكيون في الوقت الحـاضر هي مجلة « العالم الاسلامي » The Muslim World أنشأها صمويل زويمر Zweimer في سنه ١٩١١ ، وتصدر الآن من هارتفورد Hartford بأمريكا ورئيس تحريرها كنيث كراج K. Cragg وطابع هذه المجلة

تبشيري سافر .

ز ـ وللمستشرقين الفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة « العالم الاسلامي » في روحها واتجاهها العدائي التبشيري واسمها أيضاً .. Le Monde Musulman

أسماء أخطر المستشرقين المعاصرين وأهم كتبهم

أ.ج . أربري: A. J. Arberry انجليزي معروف بالتعصب ضد الاسلام والمسلمين ومن محرري « دائرة المعارف الاسلامية » والآن أستاذ بجامعة كمبردج . ومن المؤسف أنه أستاذ لكثير من المصريين الذين تخرجوا في الدراسات الاسلامية واللغوية في انجلترا . ومن كتبه :

١ ـ الاسلام اليوم « صدر في عام ١٩٤٣ » .
٢ ـ « مقدمة لتاريخ التصوف » صدر في عام ١٩٤٧ .
٣ ـ « التصوف » صدر في عام ١٩٥٠ .
٤ ـ « ترجمة القرآن » صدر في عام ١٩٥٠ .

الفردجيوم : A. Geom انجليزي معاصر، اشتهر بالتعصب ضد الاسلام، حاضر في جامعات انجلترا وأمريكا . وتغلب على كتابته وآرائه الروح التبشيرية . ومن كتبه « الاسلام »، ومن المؤسف أنه تخرج عليه كثير ممن أرسلتهم الحكومة المصرية في بعثات رسمية للخارج لدراسة اللغات الشرقية .

باروت كارا دي فو : Baron Carra de Vaux فرنسي متعصب جداً ضد الاسلام والمسلمين. ساهم بنصيب بارز في تحرير « دائرة المعارف الاسلامية » .

هـ.ا.ر. جب H. A. R. Gibb أكبر مستشرقي انجلترا المعاصرين . كان عضواً بالمجمع اللغوي في مصر والآن أستاذ الدراسات الاسلامية والعربية في جامعة هارفرد الامريكية . من كبار محرري وناشري « دائرة المعارف الاسلامية » . له كتابات كثيرة فيها عمق وخطورة وهذا هو سر خطورته . ومن كتبه :

١ – « طريق الاسلام » ألّفه بالاشتراك مع آخرين وترجم من الانجليزية إلى العربية تحت العنوان المذكور .

٢ – « الاتجاهات الحديثة في الاسلام » . صدر في عام ١٩٤٧ وأعيد طبعه وترجم إلى العربية تحت العنوان المذكور .

٣ - « المذهب المحمدي » صدر في عام ١٩٤٧ وأعيد طبعه

٤ – « الاسلام والمجتمع الغربي » يصدر في أجزاء ، وقد اشترك معه آخرون في التأليف . وله مقالات أخرى متفرقة .

جولد تسيهر : Goldizher مجري ، عرف بعدائه للاسلام وبخطورة كتاباته عنه ، ومن محرري « دائرة المعارف الاسلامية ».

كتب عن القرآن والحديث ، ومن كتبه « تاريخ مذاهب التفسير الاسلامي » المترجم إلى العربية تحت العنوان السابق .

جون ماينارد: Maynard أمريكي متعصب، كان يساهم في تحرير « مجلة جمعية الدراسات الشرقية » الامريكية ، وخاصة باب الكتب الجديدة التي لها صلة بالاسلام وبالشرق على العموم. (أنظر – مثلاً ص ٢٢ وما بعدها من العدد ٢ ، من المجلد ٨ ، ابريل سنة ١٩٢٤ من المجلة المذكورة) .

س.م. زويمر : S. M. Zweimer مستشرق مبشر ، اشتهر بعدائه الشديد للاسلام ، مؤسس مجلة « العالم الاسلامي » الامريكية التبشيرية . مؤلف كتاب « الاسلام تحد لعقيدة » صدر في سنة ١٩٠٨ ، وناشر كتاب « الاسلام » وهو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني في سنة ١٩١١ بلكنهؤ في الهند . وتقديراً لجهوده التبشيرية أنشأ الامريكيون وقفاً باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المبشرين .

عزيز عطية سوريال : مصري مسيحي، كان أستاذاً بجامعة الاسكندرية والآن يدرس باحدى جامعات امريكا ، شديد الحقد على الاسلام والمسلمين وكثير التحريف للتعاليم الاسلامية . يستعين على الحقد والتحريف بكونه بعيداً عن مصر والمسلمين ، له بعض الكتب عن الحروب الصليبية .

غ. فون جرونباوم : G. Von Grunbaum من أصل الماني

يهودي مستورد إلى أمريكا للتدريس بجامعاتها وكان أستاذاً بجامعة شيكاغو ، من ألد أعداء الاسلام . في جميع كتاباته تخبط واعتداء على القيم الاسلامية والمسلمين ، كثير الكتابة وله معجبون من المستشرقين . ومن كتبه :

١ – « اسلام العصور الوسطى » صدر في عام ١٩٤٦ .

٢ – « الاعياد المحمدية » صدر في عام ١٩٥١ .

٣ – « محاولات في شرح الاسلام المعاصر » صدر في عام ١٩٤٧ .

٤ – « دراسات في تاريخ الثقافة الاسلامية » صدر في عام ١٩٥٤ .

٥ – « الاسلام » مجموعة من المقالات المتفرقة ، صدر في عام ١٩٥٧ .

٦ – « الوحدة والتنوع في الحضارة الاسلامية » ، صدر في عام ١٩٥٥ .

فيليب حتي : Ph. Hitti لبناني مسيحي تأمرك ، كان أستاذاً بقسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون بأمريكا ثم رئيساً لهذا القسم ، وهو الآن بالمعاش . من ألد أعداء الاسلام ، ويتظاهر بالدفاع عن القضايا العربية في أمريكا ، وهو مستشار غير رسمي لوزارة الخارجية الامريكية في شئون الشرق الاوسط ، يحاول

دائماً أن ينتقص دور الاسلام في بناء الثقافة الانسانية ويكره أن ينسب للمسلمين أي فضل ، فقد كتب -على سبيل المثال - في « دائرة المعارف الامريكية » طبع سنة ١٩٤٨ تحت عنوان « الأدب العربي » ص ١٢٩ يقول : « ولم تبدأ أمارات الحياة الادبية الجديدة بالظهور إلا في القسم الأخير من القرن التاسع عشر ، وكان الكثرة من قادة هذه الحركة الجديدة نصارى من لبنان تعلموا واستوحوا من جهود المبشرين الامريكيين ». ومحاولات « حتي » انتقاص فضل الاسلام والمسلمين ليست فقط قاصرة على العصر الحديث ولكنها تنطبق على جميع مراحل التاريخ الاسلامي كما هو موضح في كتبه التي نذكر منها :

١ - « تاريخ العرب » ظهر بالانجليزية، وأعيد طبعه عدة مرات، وهو مليء بالطعن في الاسلام والسخرية من نبيه ،وكله حقد وسم وكراهية . أنظر مثلاً مجلة « الاسلام » الانجليزية Al - Islam التي تصدر في كراتشي - باكستان ص ١٣٨ من عدد أبريل سنة ١٩٥٨ ، ص ١٤٦ من عدد أول مـايو سنة ١٩٥٨ .

٢ - « تاريخ سوريا » .

٣ - « أصل الدروز وديانتهم » ، صدر في سنة ١٩٢٨ .

أ.ج فينسينك : A.J.Wensink عدو لدود للاسلام ونبيه،

كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري ثم أخرج منـــه على أثر أزمة أثارها الدكتور الطبيب حسين الهواري مؤلف كتاب « المستشرقون والاسلام » صدر في سنة ١٩٣٦ ، وحدث ذلك بعد أن نشر فينسينك رأيه في القرآن والرسول مدّعياً أن الرسول ألّف القرآن من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية التي سبقته ، أنظر « المستشرقون والاسلام » ص ٧١ وما بعدها . هذا والمعروف لفينسينك كتاب تحت عنوان « عقيدة الاسلام » صدر في سنة ١٩٣٢ .

كينيت كراج : K. Cragg أمريكي شديد التعصب ضد الاسلام . قام بالتدريس في الجامعة الامريكية بالقاهرة لفترة من الوقت والآن رئيس تحرير مجلة «العالم الاسلامي » الامريكية التبشيرية ورئيس قسم اللاهوت المسيحي في هارتفورد «ومتعهد» مبشرين. ومن كتبه « دعوة المئذنة » ، صدر في عام ١٩٥٦ .

لوي ماسينيون : L. Massignon أكبر مستشرقي فرنسا المعاصرين ، ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شئون شمال افريقيا ، والراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر . زار العالم الاسلامي أكثر من مرة وخـدم بالجيش الفرنسي خمس سنوات في الحرب العالمية الاولى ، كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي العربي في دمشق ، متخصص في الفلسفة والتصوف الاسلامي ، ومن كتبه :

« الحلاج الصوفي الشهيد في الاسلام »، صدر فى سنة ١٩٢٢. وله كتب وأبحاث أخرى عن الفلسفة والتصوف، وهو من كبار محرري « دائرة المعارف الاسلامية » .

د. ب. ماكدونالد : D. B. Macdonald أمريكي من أشد المتعصبين ضد الاسلام والمسلمين ، يصدر في كتاباته عن روح تبشيرية متأصلة . من كبار محرري « دائرة المعارف الاسلامية » ومن كتبه :

١ — « تطور علم الكـــلام والفقه والنظرية الدستورية في الاسلام » صدر في سنة ١٩٠٣ .

٢ — « الموقف الديني والحياة في الاسلام » ، صدر في سنة ١٩٠٨ .

مايلز جرين : M. Green سكرتير تحرير مجلة « الشرق الاوسط » .

مجيد قدوري : مسيحي عراقي . رئيس قسم دراسات الشرق الاوسط بجامعة جون هوبكنز في واشنطن ، ومدير معهـــد الشرق الاوسط للأبحاث والتربية بواشنطن ، متعصب حقود على الاسلام وأبنائه . ومن كتبه المشحونة بالطعون والاخطـــاء « الحرب والسلام في الاسلام » صدر في سنة ١٩٥٥، وله مقالات أخرى .

د. س . مرجوليوث : D. S. Margoliouth انجلـــيزي

متعصب ضد الاسلام ومن محرري « دائرة المعارف الاسلامية »، كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي في دمشق. ومن كتبه :

١ ــ « التطورات المبكرة في الاسلام » صدر في سنة ١٩١٣.
٢ ــ « محمد ومطلع الاسلام » ، صدر في سنة ١٩٠٥ .
٣ ــ « الجامعة الاسلامية » ، صدر في سنة ١٩١٢ .

ر. ا. نيكولسون : R. A. Nickolson كان من أكبر مستشرقي انجلترا المعاصرين ومن محرري « دائرة المعارف » . تخصص في التصوف الاسلامي والفلسفة وكان عضواً بالمجمع اللغوي المصري . وهو من المنكرين على الاسلام أنه دين روحي ويصفه بالمادية وعدم السمو الانساني . ومن كتبه :

١ ــ « متصوفو الاسلام » صدر في سنة ١٩١٠ .
٢ ــ « التاريخ الادبي للعرب » ، صدر في سنة ١٩٣٠ .

هارفلي هول : رئيس تحرير « مجلة الشرق الاوسط » الامريكية . وخطورته أنه يوجه سياسة مجلة من أهم المجلات المعنية بشؤون الشرق الاوسط السياسية والثقافية في العصر الحديث .

هنري لامنس اليسوعي : H. Lammens فرنسي ١٨٧٢ ــ ١٩٣٧ من محرري دائرة المعارف الاسلامية، شديد التعصب ضد الاسلام والحقد عليه، مفرط في عدائه وافتراءاته لدرجة أقلقت

بعض المستشرقين أنفسهم (أنظر ص ١٥ – ١٦ من ١ ، من المجلد ٩ يناير سنة ١٩٢٥ من «مجلة جمعية الدراسات الشرقية» الامريكية. ومن كتبه بالفرنسية :

١ – « الاسلام » .

٢ – « الطائف » .

يوسف شاخت : J. Schacht ألماني متعصب ضد الاسلام والمسلمين ، له كتب كثيرة عن الفقه الاسلامي وأصوله. من محرري « دائرة المعارف الاسلامية » ودائرة معارف العلوم الاجتماعية . وأشهر كتبه : « أصول الفقه الاسلامي » .

بعض الكتب الخطيرة التي لها مكانة علمية عند بعض الناس :

موضوعات :

١ – « دائرة المعـــارف الاسلامية » :

The Encyclopaedia of Islam صدر بعدة لغـــات حية يعاد طبعها في الوقت الحاضر ، وقد ظهر بعض أجزاء الطبعة الجديدة .

٢ – « موجز دائرة المعارف الاسلامية »

Shorter Encyclopaedia of Islam

٣ – « دائرة معارف الدين والاخلاق »

Encyclopaedia of Religion And Ethics

(المقالات المتعلقة بموضوعات اسلامية) :

٤ – « دائرة معارف العلوم الاجتماعية »

Encyclopaedia of Social Sciences

(الموضوعات المتصلة بالاسلام والعرب).

٥ – « دراسة في التاريخ »

(القسم المتصل بالاسلام ورسوله) من تأليف ارنولد توينبي :

A. Toynbee

الكتب :

١ ـ « حياة محمد »

من تأليف سير وليام موير: W. Muir

٢ ـ « الاسلام »

من تأليف ألفرد جيوم: A. Geom

٣ ـ « دين الشيعة »

من تأليف د. م. دونالدسون: D. M. Donaldson

٤ ـ « تاريخ شارل الكبير »

من تأليف القس تيربن : Bishop Turpin

٥ ـ « الاسلام »

ظهر بالفرنسية من تأليف هنري لامنس : H. Lammens

٦ ـ « الاسلام » (تحد لعقيدة)

ظهر بالانجليزية من تأليف المبشر زويمر S. M. Zweimer

٧ ـ « دعوة المئذنة »
ظهر بالانجليزية من تأليف كينيت كراج : K. Cragg

٨ ـ « الاسلام اليوم »
بالانجليزية من تأليف ا. ج. آربري : A. J. Aberry

٩ ـ « ترجمة القرآن »
الترجمة الانجليزية من وضع ا. ج. آربري .

١٠ ـ « تاريخ مذاهب التفسير الاسلامي »
ظهر بالالمانية وترجم إلى العربية ، من تأليف جولد تسيهر : Gold Ziher .

١١ ـ « تاريخ العرب »
ظهر بالانجليزية والعربية وطبع عدة طبعات ، من تأليف فيليب حتي .

١٢ ـ « اليهودية في الاسلام »
ظهر بالانجليزية من تأليف ابراهام كاش .

١٣ ـ « عقيدة الاسلام »
ظهر بالانجليزية من تأليف ا. ج. فينسينك: Wensink

١٤ ـ « الحلاج الصوفي الشهيد في الاسلام »
ظهر بالفرنسية من تأليف لوي ماسينيون : L. Massignon

١٥ ـ « الحرب والسلام في الاسلام »
ظهر بالانجليزية من تأليف مجيد قدوري .

١٦ ـ « تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الاسلام » .

ظهر بالانجليزية من تأليف د. ب. ماكدونالد :
D. B. Macdonald

١٧ ـ « الاتجاهات الحديثة في الاسلام »

ظهر بالانجليزية وترجم إلى العربية ، من تأليف هـ. ا. ر. جب Gibb .

١٨ ـ « طريق الاسلام »

ظهر بالانجليزية وترجم إلى العربية من تأليف جماعة من المستشرقين .اشترك في تأليفه ونشره هـ. ا. ر. جب: Gibb

١٩ ـ « التصوف في الاسلام »

ظهر بالانجليزية وترجم إلى العربية من تأليف ر. ا. نيكلسون Nicholson .

٢٠ ـ « مصادر تاريخ القرآن »

بالانجليزية من تأليف آرثر جيفري: Arthur Jeffry

٢١ ـ « أصول الاسلام في بيئته المسيحية »

بالانجليزية من تأليف ر. بل: R. Bell

٢٢ ـ « مقدمة القرآن »

بالانجليزية من تأليف ر . بل .

٢٣ ـ « التطورات المبكرة في الاسلام »

بالانجليزية من تأليف د. س . مرجوليوث:
D. S. Margoliouth

٢٤ ـ « محمد ومطلع الاسلام »
بالانجليزية ولنفس المؤلف .

٢٥ ـ « الاسلام »
بالانجليزية ولنفس المؤلف .

٢٦ ـ « الجامعة الاسلامية »
بالانجليزية ولنفس المؤلف .

٢٧ ـ « قنطرة إلى الاسلام »
ظهر بالانجليزية من تأليف أريك بيتمان .

٢٨ ـ « إسلام العصور الوسطى »
ظهر بالانجليزية من تأليف ج. فون . جرونباوم:
G. Von Grunebaun

٢٩ ـ « الاسلام »
مجموعة مقالات متفرقة ظهرت بالانجليزية للمؤلف السابق .

٣٠ ـ « الاعياد المحمدية »
بالانجليزية ولنفس المؤلف .

٣١ ـ « الوحدة والتنوع في الحضارة الاسلامية »
بالانجليزية ولنفس المؤلف .

٣٢ ـ « دراسات في تاريخ الثقافة الاسلامية »
بالانجليزية ولنفس المؤلف .

٣٣ – « محاولات ... في شرح الاسلام المعاصر »
مجموعة مقالات ظهرت بالانجليزية لنفس المؤلف .

مَوَازِينُ البَحْثِ عِندَ المُستَشرِقين

يعتمد جمهرة المستشرقين في تحرير أبحـــاثهم عن الشريعة الاسلامية على ميزان غريب بالغ الغرابة في ميدان البحث العلمي ، فمن المعروف أن العالم المخلص يتجرد عن كل هوى وميل شخصي فيما يريد البحث عنه ويتابع النصوص والمراجع الموثوق بها ، فما أدت اليه بعد المقارنة والتمحيص كان هو النتيجة المحتمة التي ينبغي عليه اعتقادها .

ولكن أغلب هؤلاء المستشرقين يضعون في أذهانهم – كما قلت من قبل – فكرة معينة يريدون تصيد الادلة لإثباتهـــا ، وحين يبحثون عن هذه الادلة لا تهمهم صحتها بمقدار ما يهمهم امكان الاستفادة منهـــا لدعم آرائهم الشخصية ، وكثيراً ما يستنبطون الامر الكلي من حادثة جزئية ، ومن هنا يقعون في مفارقات عجيبة لولا الهوى والغرض لربأوا بأنفسهم عنها ، وسنضرب لذلك بعض الامثلة :

١ – في محاولة المستشرق جولد تسيهر لإثبات زعمه بأن الحديث في مجموعه من صنع القرون الثلاثـة الاولى للهجرة وليس من قول الرسول ﷺ ادعى أن أحكام الشريعة لم تكن معروفة لجمهور المسلمين في الصدر الاول من الاسلام ، وأن الجهل بهـــا

وبتاريخ الرسول ﷺ كان لاصقاً بكبار الأئمة، وقد حشد لذلك بعض الروايات الساقطة المتهافتة ، من ذلك ما نقله عن كتاب الحيوان للدميري من أن أبا حنيفة رحمه الله لم يكن يعرف هل كانت معركة بدر قبل أُحد أم كانت أُحد قبلها !..

ولا شك في أن أقل الناس اطلاعاً على التاريخ يرد مثل هذه الرواية ، فأبو حنيفة وهو من أشهر أئمة الاسلام الذين تحدثوا عن أحكام الحرب في الاسلام حديثاً مستفيضاً في فقهه الذي أثر عنه وفي كتب تلامذته الذين نشروا علمه كأبي يوسف ومحمد ، يستحيل على العقل أن يصدق بأنه كان جاهلاً بوقائع سيرة الرسول ومغازيه وهي التي استمد منها فقهه في أحكام الحرب ، وحسبنا أن نذكر هنا كتابين في فقهه في هذا الموضوع يعتبران من أهم الكتب المؤلفة في التشريع الدولي ، في الاسلام .

اولهما – كتاب الرد على سير [1] الاوزاعي لأبي يوسف رحمه الله .

ثانيهما – كتاب السير الكبير لمحمد رحمه الله ، وقد شرحه السرخسي ، وهو من أقدم وأهم مراجع الفقه الاسلامي في العلاقات الدولية ، وقد طبع أخيراً تحت إشراف جامعة

---

١ – اصطلح الفقهاء على تسمية مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم بالسير جمع سيرة .

الدول العربية برغبة من جمعية محمد بن الحسن الشيباني للحقوق الدولية .

وفي هذين الكتابين يتضح إلمام تلامذة الإمام وهم حاملو علمه بتاريخ المعارك الاسلامية في عهد الرسول ﷺ وعهد خلفائه الراشدين .

وجولد تسيهر لا يخفى عليه أمر هذين الكتابين، وكان بامكانه لو أراد الحق أن يعرف ما إذا كان أبو حنيفة جاهلاً بالسيرة أو عالماً بها من غير أن يلجأ إلى رواية « الدميري » في « الحيوان » وهو ليس مؤرخاً وكتابه ليس كتاب فقه ولا تاريخ ، وإنما يحشر فيه كل ما يرى ايراده من حكايات ونوادر تتصل بموضوع كتابه من غير أن يعنى نفسه البحث عن صحتها ، ولا يخفى ما كان بين أبي حنيفة ومعاصريه ومقلديهم من بعدهم من عداء منهجي فكري ، وقد كان هذا العداء مادة دسمة لرواة الأخبار ومؤلفي كتب الحكايات والنوادر لنسبة حوادث وحكايات منها ما يرفع من شأن أبي حنيفة، ومنها ما يضع من سمعته . وأكثرها ملفق موضوع للمسامرة والتندر من قبل محبيه أو كارهيه على السواء ، مما يجعلها عديمة القيمة العلمية في نظر العلماء والباحثين .

فجولد تسيهر أعرض عن كل ما دُوِّن من تاريخ أبي حنيفة تدويناً علمياً ثابتاً ، واعتمد رواية مكذوبة لا يتمالك طالب العلم المبتدىء في الدراسة من الضحك لسماعها ليدعم بذلك ما تخيله من أن السنّة النبوية من صنع المسلمين في القرون الثلاثة الاولى.

٢ – ومثال آخر عن هذا المستشرق أيضاً ، فقد أعرض عما أجمعت عليه كتب الجرح والتعديل وكتب التاريخ من صدق الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري رحمه الله (٥٠ – ١٢٤ هـ) وورعه وأمانته ودينه وزعم ان الزهري لم يكن كذلك بل كان يضع الحديث للأمويين ، وهو الذي وضع حديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد الخ . . »لعبد الملك بن مروان، وكل حجته أن هذا الحديث من رواية الزهري ، وأن الزهري كان معاصراً لعبد الملك بن مروان !.. وقد ناقشت هذا الزعم مناقشة مفصلة في كتابي «السنّة ومكانتها في التشريع الاسلامي» ص ٣٨٥ وما بعدها .

٣ – يحاول المستشرقون أن يؤكدوا تعالي العرب الفاتحين عن المسلمين الأعاجم وانتقاصهم من مكانتهم ، وفي ذلك يقول المستشرق « بروكلمان » في كتابه « تاريخ الشعوب الاسلامية »:

« واذا كان العرب يؤلفون طبقة الحاكمين فقد كان الأعاجم من الجهة الثانية هم الرعية أي القطيع !. وجمعها رعايا كما يدعوهم تشبيه سامي قديم كان مألوفاً حتى عند الآشوريين » .

فهذا المستشرق قد أعرض عن جميع الوثائق التاريخية التي تؤكد عدالة الفاتحين المسلمين ومعاملتهم أفراد الشعب على السواء من غير تفرقة بين عربي وغيره ، وتعلق بلفظ « الرعية » تعلقاً لغوياً واستنتج منها أن المسلمين نظروا الى الأعاجم نظر القطيع من الغنم ، ولو رجعنا إلى مادة «رعى» في قواميس اللغة وجدناها

تقول كما في القاموس المحيط : والراعي كل ولي أمر قوم ، والقوم رعية ، وراعيته : لاحظته محسناً اليه ، وراعيت أمره: حفظته ، كرعاه .

فالراعي في اللغـة يطلق على راعي الغنم وعلى رئيس القوم وولي امرهم ، والرعية تطلق على الماشية وتطلق على القوم ، ومن معاني الرعاية : الحفظ والإحسان .

فلما أطلقها الاسلام على القوم لم يخص بها الأعاجم ليشير إلى أنه يراهم كالقطيع من الغنم ، وإنما أطلقها على الشعب عامـة ، والأحاديث في ذلك كثيرة معروفة ومنها قوله ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره : « ألا كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيتهوهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .قال الحافظ ابن حجر (فتح الباري ١٣ /٩٦) في شرح هذا الحديث « والراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما اؤتمن على حفظه فهو مطلوب بالعدل فيه والقيام بمصالحه » .

وقد جاء في حديث آخر اطلاق الرعيـــة على المسلمين في الحديث الذي رواه البخاري وغيره « ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاشٌ لهم إلاّ حرّم الله عليه الجنة » .

فكيف أغمض بروكلمان عينيه عن هذا كله واستجاز لعلمه أن يدّعي بأن المسلمين نظروا إلى الأعاجم نظرة القطيع وأنهم أطلقوا عليهم وحدهم لفظ « الرعية » ؟ ليس له سند إلا أن لفظ الرعية يطلق على الغنم أيضاً ، وقد علمت معانيها اللغوية ، أما تخصيص إطلاقها بالأعاجم فليس له سند ولا شبهة يتعلق بها ، وانما هو الهوى والغرض .

٤ ـ زعم المستشرق « مايور » كما نقله عنه « مرجليوث » أن أهل البدو كانوا كثيري الاهتمام بتعلم البلاغة وطلاقة اللسان فلا يبعد أن النبي (عليه الصلاة والسلام) مارس هذا الفن حتى نبغ فيه .

وهذا يعطينا صورة عن موازين البحث عند هؤلاء ، فالمسألة عنده تقوم على استنتاج وهمي من أمر لم يقع ، فلا العرب كانوا يتعلمون البلاغة ، ولا كانت لها مدارس وأساتذة يضعون قواعدها ، ولا النبي ﷺ عرف عنه قبل النبوة فعل ذلك ، وليس بين أيدينا نص واحد يثبته بل ان المؤكد ان الرسول لم ينقل عنه أثر من نثر أو شعر قبل النبوة وقبل أن يتنزل عليه القرآن الكريم .

وأمر آخر يكشف لنا عن أساس ثالث من أسس النقد والبحث عند هؤلاء المستشرقين هو إفراطهم في اختراع العلل والاسباب والحوادث التي يدرسونها اختراعاً ليس له سند إلا التخيل والتحكم ، ويزيد في فساد أسلوبهم هذا انهم يتخيلون

أحداث الشرق والعرب وعاداتهم وأخلاقهم بأوهامهم وخيالاتهم الغريبة عن الشرق والعرب والمسلمين ، ولا يريدون أن يعترفوا بأن لكل بيئة مقاييسها وأذواقها وعاداتها .

وقد أحسن المستشرق الفرنسي المسلم « ناصر الدين دينيه » في حديثه عن أسلوب المستشرقين وموازينهم في الحكم على الأشياء مما جعلهم يتناقضون فيما بينهم تناقضاً واضحاً في الحكم على شيء واحد ، كل ذلك لأنهم حاولوا أن يحللوا السيرة المحمدية وتاريخ ظهور الاسلام بحسب العقلية الأوربية فضلّوا بذلك ضلالاً بعيداً لأن هذا غير هـــذا ، ولأن المنطق الاوربي لا يمكن أن يأتي بنتائج صحيحة في تاريخ الأنبياء الشرقيين .

ثم قال إن هؤلاء المستشرقين الذين حاولوا نقـد سيرة النبي بهذا الأسلوب الاوروبي البحت لبثوا ثلاثة أرباع قرن يدققون ويمحصون بزعمهم ، حتى يهدموا ما اتفق عليه الجمهور من المسلمين من سيرة نبيهم ، وكان ينبغي لهم بعد هذه التدقيقـات الطويلة العريضة العميقة أن يتمكنوا من هدم الآراء المقررة والروايات المشهورة من السيرة النبوية ، فهل تسنى لهم شيء من ذلك ؟ .

الجواب ، أنهم لم يتمكنوا من إثبات أقل شيء جديد ، بل إذا أمعنا النظر في الآراء الجديدة التي أتى بها هؤلاء المستشرقون ، من فرنسيين وإنجليز وألمان وبلجيكيين وهولانديين الخ لا نجد إلا خلطاً وخبطاً ، وإنك لترى كل واحد منهم يقرر ما نقضه

غيره من هؤلاء المدققين بزعمهم أو ينقض ما قرره .

ثم أخذ « دينيه » يورد الأمثال على هذه المتناقضات وختم كلامه بقوله :

وإن أردنا استقصاء هذه التناقضات التي نجدها بين تمحيصات هؤلاء المحصين بزعمهم يطول بنا الأمر ، ولا نقدر أن نعرف أية حقيقة ، ولا يبقى أمامنا إلا أن نرجع إلى السير النبوية التي كتبها العرب ، فأما المؤلفون الذين زعموا أنهم يريدون ترجمة محمد بصورة علمية شديدة التدقيق فلم يتفقوا منها ولو على نقطة مهمة ، وبرغم جميع ما نقبوه ونقروه ، وحاولوا كشفه بزعمهم ، فلم يصلوا ولن يصلوا إلا إلى تمثيل أشخاص في تلك السيرة ليسوا أعرق في الحقيقة الواقعية من أبطال أقاصيص فالتر سكوت واسكندر دوماس ، فهؤلاء القصاص تخيلوا أشخاصاً من أبناء جنسهم يقدرون أن يفهموهم ، ولم يلحظوا إلا اختلاف الأدوار بينهم ، أما أولئك المستشرقون فنسوا أنه كان عليهم قبل كل شيء أن يسدُّوا الهوة السحيقة التي تفصل بين عقليتهم الغربية والاشخاص الشرقيين الذين يترجمونهم ، وانهم بدون هذه الملاحظة جديرون بأن يقعوا في الوهم في كل نقطة [1] .

---

١ — من كتابه الذي ألفه في الرد على الأب لامنس اليسوعي بعنوان : « انك في واد وانا لفي واد » نقلاً عن مقدمة حاضر العالم الاسلامي للأمير شكيب أرسلان : ١/٣٣ .

مَعَ المُستشرقينَ وَجْهًا لوَجْهٍ في أوروبّا

لقد كنت كتبت عن المستشرقين كلمة موجزة في كتابي «السنّة ومكانتها في التشريع الاسلامي» ، قبل أن أزور أكثر جامعات أوروبا عام ١٩٥٦ وأختلط بهم وأتحـــدث إليهم وأناقشهم . فلما تم لي ذلك ازددت إيماناً بما كتبته عنهم واقتناعاً بخطرهم على تراثنا الاسلامي كله سواء كان تشريعياً أم حضارياً ، لمـــا يملأ نفوسهم من تعصب ضد الاسلام والعرب والمسلمين .

كان أول من اجتمعت بهم هو البروفسور « أندرسون » رئيس قسم قوانين الأحوال الشخصية المعمول بها في العالم الاسلامي ـ في معهد الدراسات الشرقية في جامعة لندن ـ وهو متخرج من كلية اللاهوت في جامعة كمبردج ، وكان من أركان حرب الجيش البريطاني في مصر خلال الحرب العالمية الثانية ـ كما حدثني هو بذلك عن نفسه ـ تعلم اللغة العربية من دروس اللغة العربية التي كان يلقيها بعض علماء الأزهر في الجامـــعة الاميركية في القاهرة ساعة في كل أسبوع لمدة سنة واحدة . كما تعلم العاميـة المصرية من اختلاطه بالشعب المصري حين توليه عمله العسكري الآنف الذكر ، وتخصص في دراسة الاسلام من المحـاضرات العامة التي كان يلقيها المرحوم « أحمد أمين » والدكتور « طه حسين » والمرحوم الشيخ « أحمد ابراهيم » . ثم انتقل من الخدمة العسكرية بعد الحرب الى رئاسة قسم قوانين الأحوال الشخصية في جامعة « لندن » كما ذكرنا !.

لا أريد أن أذكر أمثلة عن تعصبه ضد الاسلام ـ وقد حدّثني كثيراً عن ذلك المرحوم الدكتور « حمود غرابة » مدير المركز الثقافي الاسلامي في لندن حينذاك ـ ولكني أكتفي بأن أذكر ما حدثني به البروفسور « أندرسون » نفسه من أنه أسقط أحد المتخرجين من الأزهر الذين أرادوا نوال شهادة الدكتوراه في التشريع الاسلامي من جامعة لندن لسبب واحد هو أنه قدم أطروحته عن حقوق المرأة في الاسلام وقد برهن فيها على أن الاسلام أعطى المرأة حقوقها الكاملة ، فعجبت من ذلك وسألت هذا المستشرق: وكيف أسقطته ومنعته من نوال الدكتوراه لهذا السبب وأنتم تدّعون حرية الفكر في جامعاتكم ؟ قال :لأنه كان يقول : الاسلام يمنح المرأة كذا ، والاسلام قرر للمرأة كذا ، فهل هو ناطق رسمي باسم الاسلام؟هل هو أبو حنيفة أو الشافعي حتى يقول هذا الكلام ويتكلم باسم الاسلام؟ إن آراءه في حقوق المرأة لم ينص عليها فقهاء الاسلام الأقدمون ، فهذا رجل مغرور بنفسه حين ادّعى أنه يفهم الاسلام اكثر مما فهمه أبو حنيفة والشافعي .

هذا هو كلام هذا المستشرق الذي لا يزال حياً يرزق ، ولا أدري إن كان لا يزال في عمله في جامعة لندن أم أحيل إلى التقاعد (المعاش) .

وزرت جامعة أدنبره « اسكتلنده » فكان المستشرق الذي يرأس الدراسات الاسلامية فيها قسيساً بلباس مدني وقد وضع

لقبه الديني مع اسمه على باب بيته .

وفي جامعة « جلاسكو » (اسكتلنده أيضاً) كان رئيس الدراسات العربية فيها قسيساً عاش رئيساً للارسالية التبشيرية في القدس قرابة عشرين سنة حتى أصبح يتكلم العربية كأهلها . وقد حدثني بذلك عن نفسه في هذه الزيارة، وكنت قد اجتمعت به قبل ذلك في المؤتمر الاسلامي المسيحي الذي انعقد في « بحمدون » (لبنان) عام ١٩٥٤ .

وفي جامعة أكسفورد وجدنا رئيس قسم الدراسات الاسلامية والعربية فيها يهودياً يتكلم العربية ببطء وصعوبة ، وكان أيضاً يعمل في دائرة الاستخبارات البريطانية في ليبيا خلال الحرب العالمية الثانية وهناك تعلم العربية العامية ، ثم عاد إلى بلاده انجلترا ليرأس هذا القسم في جامعة اكسفورد . ومن عجيب أني رأيت في منهاج دراساته التي يلقيها على طلاب الاستشراق : تفسير آيات من القرآن الكريم من الكشاف للزمخشري ـ وهو لا يحسن فهم عبارة بسيطة في جريدة عادية ـ ودراسة أحاديث من البخاري ومسلم ، وأبواب من الفقه في أمهات كتب الحنفية والحنابلة ، وسألته عن مراجع هذه الدراسات ، فأخبرني أنها من كتب المستشرقين أمثال : جولد تسيهر ، ومرجليوث ، وشاخت ، وحسبك بهؤلاء عنواناً على الدراسات المدخولة المدسوسة الموجهة ضد الاسلام والمسلمين .

أما في جامعة كمبردج فكانت رئاسة قسم الدراسات

العربية والاسلامية فيهـــا للمستشرق المعروف « آربري » واختصاصه في اللغة العربية فحسب . وقد ورد اسمه آنفاً .

وقد قال لي ـ خلال أحاديثي معه ـ : بأننا ـ نحن المستشرقين ـ نقع في أخطاء كثيرة في بحوثنا عن الاسلام ، ومن الواجب أن لا نخوض في هذا الميدان لأنكم ـ أنتم المسلمين العرب ـ أقدر منا على الخوض في هذه الأبحاث ، وربمـــا قال هذا مجاملة أو اعتقاداً منه بصحته .

وفي مانشستر (انكلترا) اجتمعت بالبروفسور « روبسون » وكان يقابل سنن أبي داود على نسخة مخطوطة ، وله كتابات في تاريخ الحديث ، يتفق فيها غالباً مع آراء المستشرقين المتحاملين ، وقد حرصت على أن أبين له أن الدراسات الاستشراقية السابقة فيها تحامل وبعد عن الحقيقـــة ، وتعرضت لآراء جولد تسيهر وأثبتُّ له أخطاءه التاريخية والعلمية ، فكان مما أجاب به عنه : « لا شك ان المستشرقين في هذا العصر أكثر إطلاعاً على المصادر الاسلامية من جولد تسيهر نظراً لمـــا طبع ونشر وعرف من مؤلفات اسلامية كانت غير معلومـــة في عصر جولد تسيهر ، فقلت له : أرجو أن تكون أبحاثكم ـ المستشرقين ـ في هـذا العصر أقرب الى الحق والانصاف من جولد تسيهر ، ومرجليوث ، وأمثالهما . فقال : أرجو ذلك » .

وفي جامعة « ليدن » بهولندا اجتمعت بالمستشرق الألمـاني اليهودي « شاخت » وهو الذي يحمل في عصرنا هـــذا رسالة

« جولد تسيهر » في الدس على الاسلام والكيـــد له وتشويه حقائقه ، وباحثته طويلاً في أخطاء « جولد تسيهر » وتعمده تحريف النصوص التي ينقلها عن كتبنا ، فأنكر ذلك اول الأمر ، فضربت له مثلاً واحداً مما كتبه جولد تسيهر في تاريخ « السنة » ، فاستغرب ذلك ، ثم راجع كتاب جولد تسيهر — وكنا نجلس في مكتبته الخاصة — فقال : معك الحق ان جولد تسيهر أخطأ هنا ، قلت له : هل هو مجرد خطأ ؟ فاحتد وقال: لماذا تسيئون به الظن ؟ فانتقلت الى بحث تحليله لموقف الزهري من عبد الملك ابن مروان ، وذكرت له من الحقائق التاريخية ما ينفي ما زعمه جولد تسيهر . وبعد مناقشة في هذا الموضوع قال : وهذا خطأ ايضاً من جولد تسيهر ألا يخطىء العلماء ؟ قلت له : ان جولد تسيهر هو مؤسس المدرسة الاستشراقية التي تبني حكمهـا في التشريع الاسلامي على وقائع التاريخ نفسه ، فلماذا لم يستعمل مبدأه هنا حين تكلم عن الزهري ؟ وكيف جاز له ان يحكم على الزهري بأنه وضع حديث فضل المسجد الأقصى ارضاء لعبد الملك ضد ابن الزبير ، مع ان الزهري لم يلق عبد الملك إلا بعد سنوات من مقتل ابن الزبير ؟ وهنا اصفر وجه « شاخت » وأخذ يفرك يداً بيد ، وبدا عليه الغيظ والاضطراب ، فأنهيت الحديث معه بأن قلت له : لقد كان مثل هذه « الأخطاء » كما تسميها انت ، تشتهر في القرن الماضي ، ويتناقلها مستشرق منكم عن آخر على انها حقائق علمية ، قبل ان نقرأ — نحن المسلمين — تلك المؤلفات إلا بعد موت مؤلفيها ، أما الآن فأرجو ان تسمعوا

منا ملاحظاتنا على « اخطائكم » لتصححوها في حياتكم قبل ان تتقرر كحقائق علمية .

ومن الملاحظ ان هذا المستشرق كان يدرس في جامعة القاهرة – فؤاد سابقاً – وله مؤلف في تاريخ التشريع الاسلامي كله دس وتحريف على اسلوب شيخه جولد تسيهر !

وفي جامعة « أبسلا » في السويد التقيت بالشيخ المستشرق «نيبرج» وهو الذي كان قد أشرف على تصحيح كتاب «الانتصار لابن الخياط » – على ما اظن – وطبعته قديماً « لجنة التأليف والترجمة في القاهرة » وجرى بيني وبينه حديث طويل كان أكثره حول أبحاث المستشرقين ومؤلفاتهم عن الاسلام وتاريخه ، وجعلت «جولد تسيهر» محور الحديث عن المستشرقين، وذكرت له أمثلة من أخطائه وتحريفه للحقائق، فكان مما قاله بعد ذلك: ان جولد تسيهر كان في القرن الماضي ذا شهرة علمية ومرجعاً للمستشرقين ، اما في هذا العصر – بعد انتشار الكتب المطبوعة في بلادكم عن العلوم الاسلامية – فلم يعد جولد تسيهر مرجعاً كما كان في القرن الماضي.. لقد مضى عهد جولد تسيهر في رأينا !..

وقد أتيح لي خلال تلك الرحلة أن أواصل زيارة الجامعات عدا ما ذكرته منها في عواصم كل من (بلجيكا)و (الدانيمرك) و (النرويج) و (فنلندا) و (ألمانيا) و(سويسرا)و(باريس) واجتمعت بمن كان موجوداً فيها حينئذ من المستشرقين .

ومما ذكرته آنفاً وما دوّنته في مذكراتي عن المستشرقين

الذين لقيتهم خلال تلك الرحلة « اتضحت لي الحقائق التالية :

أولاً : ان المستشرقين ـ في جمهورهم ـ لا يخلو أحدهم من أن يكون قسيساً أو استعمارياً أو يهودياً ، وقد يشذ عن ذلك أفراد .

ثانياً : أن الاستشراق في الدول الغربية غير الاستعمارية ـ كالدول السكندنافية ـ أضعف منه عند الدول الاستعمارية .

ثالثاً : ان المستشرقين المعاصرين في الدول غير الاستعمارية يتخلون عن جولد تسيهر وأمثاله المفضوحين في تعصبهم .

رابعاً : ان الاستشراق بصورة عامة ينبعث من الكنيسة ، وفي الدول الاستعمارية يسير مع الكنيسة ووزارة الخارجية جنباً إلى جنب ، يلقى منهما كل تأييد .

خامساً : ان الدول الاستعمارية كبريطانيا وفرنسا ما تزال حريصة على توجيه الاستشراق وجهته التقليدية من كونه أداة هدم للاسلام وتشويه لسمعة المسلمين .

ففي فرنسا لا يزال « بلاشير » و « ماسينيون » وهما شيخا المستشرقين الفرنسيين في وقتنا الحاضر يعملان في وزارة الخارجية الفرنسية كخبيرين في شؤون العرب والمسلمين .

وفي انجلترا رأينا ـ كما ذكرت ـ أن الاستشراق له مكان محترم في جامعات لندن وأكسفورد وكمبردج وأدنبره وجلاسكو وغيرها ، ويشرف عليه يهود وانجليز استعماريون ومبشرون ،

وهم يحرصون على أن تظل مؤلفات جولد تسيهر ومرجليوث ثم شاخت من بعدهما ، هي المراجع الأصلية لطلاب الاستشراق من الغربيين ، وللراغبين في حمل شهادة الدكتوراه عندهم من العرب والمسلمين وهم لا يوافقون أبـــداً على رسالة لطلب الدكتوراه يكون موضوعهـــا انصاف الاسلام وكشف دسائس أولئك المستشرقين .

وقد حدثنا الدكتور أمين المصري ـ وهو خريج كليـــة أصول الدين في الأزهر وكلية الآداب ومعهد التربية في جامعة القاهرة ـ عما لقيه من عناء في سبيل موضوع رسالته التي أراد أن يتقدم بها لأخذ شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعات انجلترا .

لقد ذهب إليها منذ بضع سنوات لدراسة الفلسفة وأخذ شهادة الدكتوراه بها ، ومـــا كاد يطلع على برامج الدراسة ـ وخاصة دراسة العلوم الاسلامية فيها ـ حتى هاله ما رآه من تحامل ودس في كتب المستشرقين ، وخاصة « شاخت » فقرر أن يكون موضوع رسالته هو نقد كتاب شاخت في تاريـــخ الفقه الاسلامي .

وتقدم إلى البروفسور « أندرسون » ليكون مشرفاً على تحضير هذه الرسالة وموافقاً على موضوعها ، فأبى عليه هـــذا المستشرق أن يكون موضوع رسالته نقـــد كتاب « شاخت » وعبثاً حاول أن يوافق على ذلك ، فلما يئس من جامعة لندن ،

ذهب إلى جامعة كامبردج وانتسب إليها وتقدم إلى المشرفين على الدراسات الاسلامية فيها برغبته في أن يكون موضوع رسالته للدكتوراه هو ما ذكرناه ، فلم يبدوا رضاهم عن ذلك ، وظن أن من الممكن موافقتهم أخيراً ، ولكنهم قالوا له بصريح العبارة : إذا أردت أن تنجح في الدكتوراه فتجنب انتقاد شاخت ، فإن الجامعة لن تسمح لك بذلك ، وعندئذ حوّل موضوع رسالته إلى « معايير نقد الحديث عند المحدثين » فوافقوا ، ونجح في نوال الدكتوراه ـ وهو الآن استاذ في كلية الشريعة بجامعة دمشق .

هذه كلمة موجزة عما تحققته بنفسي عن المستشرقين، وخاصة كتب جولد تسيهر وآرائه ، وقد أفردت لمناقشته فصلاً خاصاً في كتابي « السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي . بينت فيه تحامل هذا المستشرق اليهودي ، وتشويهه للحقائق ، وتحريفه للنصوص ، وتأويله للوقائع التاريخية وفق هدفه الذي سعى إليه ، واعتماده على مصادر لا قيمة لها في نظر العلم وتكذيبه للمصادر العلمية المعترف بها عند أئمتنا وعلمائنا المحققين .

أما في أمريكا فالاستشراق فيها الآن يمثل ذروة العداء للاسلام والمسلمين، ويشرف على الدراسات الاسلامية في جامعاتها أشد أعداء الاسلام تعصباً وحقداً كما يتضح من اسماء أخطر المستشرقين ومؤلفاتهم التي ذكرناها قبل قليل .

ومن المؤلم أن طلاب العالم الاسلامي الذين يدرسون باللغة

الانجليزية في بلادهم لا يزالون مضطرين إلى دخول الجامعات الانجليزية والامريكية ، فلا يجد طلاب الدراسات الاسلامية أمامهم مراجع لدراستهم التي ينالون بها الدكتوراه غير تلك المراجع المسمومة، وهم لا يعرفون اللغة العربية ، فتتقرر عندهم أن تلك الدسائس حقائق مأخوذة من كتب الفقهاء والعلماء المسلمين أنفسهم .

إن هذا مما يدعو جامعاتنا العربية للتفكير في إنشاء أقسام لفروع شهادة الدكتوراه باللغة الانجليزية . وأعتقد أن ذلك من شأنه أن يحوّل أنظار كثيرين من طلاب العالم الاسلامي عن جامعات الغرب إلى بلادنا العربية . فنصون هؤلاء من التأثر بدسائس المستشرقين المتعصبين الاستعماريين .

خاتمة البحث :

وكلمة أخيرة أقولها عن المستشرقين :

منذ أن انتهت الحروب الصليبية بالفشل من الناحية العسكرية والسياسية ، لم ينقطع تفكير الغرب في الانتقام من الاسلام وأهله بطرق أخرى ، فكانت الطريقة الأولى هي دراسة الاسلام ونقده ، وفي جو هذا التفكير الذي ساد البيئة المسيحية في الغرب خلال القرون الوسطى نشأت فكرة الاستيلاء على البلاد الإسلامية عن طريق القوة والغلبة حين بدأ العالم الأسلامي يتدهور سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وثقافياً ، وأخذ الغرب يسطو مرة بعد مرة على بلد بعد بلد في العالم الاسلامي ، وما كاد

ينتهي للغرب استيلاؤه على أكثر أقطـــار العالم الاسلامي حتى بدأت الدراسات الغربية عن الاسلام وتاريخه تنمو وتتكاثر بقصد تبرير سياستهم الاستعمارية نحو هذه الشعوب، وقد تم لهم في القرن الماضي دراسة التراث الاسلامي من جميع نواحيـــه الدينية والتاريخية والحضارية، ومن الطبيعي أن تكون الدراسة محجوبة عن إصابة الحق فيها بحاجبين :

الأول: التعصب الديني الذي استمر لدى ساسة أوربا وقادتها العسكريين حتى إذا دخلت جيوش الحلفاء في الحرب العالميـة الأولى بيت المقـــدس ، قال اللورد « ألنبي » كلمته المشهورة : « الآن انتهت الحروب الصليبية » أي من الناحية العسكرية . أما التعصب الديني فما يزال أثره باقياً في كثير ممـــا يكتب الغربيون عن الاسلام وحضارته وأكثر ما نجد إنصاف الاسلام ورسوله عند العلماء والأدباء الغربيين الذين تحللوا من سلطـــة ديانتهم ، ونضرب لذلك مثلاً بكتاب « حضارة العرب » لمؤلفه « غوستاف لوبون » فإنه أعظم كتاب ألفه الغربيون في إنصاف الاسلام وحضارته .

هذا ، لأن « غوستاف لوبون » فيلسوف مـــادي لا يؤمن بالأديان قطعاً ، من أجل هـــذا ومن أجل إنصافه للحضارة الإسلامية ، لا ينظر إليه الغربيون في أوساطهم العلميـة نظر التقدير الذي يستحقه علمه .

فهو – بلا شك – من أعظم علمـــاء الاجتماع والتاريخ في

القرن التاسع عشر ومع هذا فقد تحامل عليه الغربيون– وخاصة الفرنسيين – لما ذكرناه .

الثاني : أن القوة المادية والعلمية التي وصل إليها الغربيون في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أدخلت في نفوس علمائهم ومؤرخيهم وكتّابهم قدراً كبيراً من الغرور حتى اعتقدوا أن الغربيين أصل جميع الحضارات في التاريخ– ما عدا المصرية – وأن العقلية الغربية هي العقلية الدقيقة التأمل التي تستطيع أن تفكر تفكيراً منطقياً سليماً ، أما غيرهم من الشعوب–وخاصة الإسلامية – فإن عقليتهم بسيطة ساذجة ، أو بالأصح « ذرية » كما عبر بذلك المستشرق « جب » في كتابه (وجهة الاسلام) ويقصد بذلك أن العقلية الإسلاميـــة تدرك الأمور بواسطة الجزئيات ولا تدركها إدراكاً كلياً .

وهم لم يحكموا بذلك إلا على ضوء مـا رأوه بأعينهم من ضعف الشعوب التي استعمروها وما سادها من جهل وما شملها من تأخر في كل نواحي الحياة .

فلما بدأ إتصالنا بالحضارة الغربية في أوائل هذا القرن ، وانتشرت الثقافة بيننا ، لم يجد المثقفون – من غـــير علماء الشريعة – أمامهم طريقاً ممهداً للحديث عن تراثنا المبعثر في كتب قديمة غير منظمة تنظيماً يتفق وتنظيم الكتب العلمية عند الغربيين ، إلا كتب المستشرقين الذين أفنوا أعمارهم في دراسة ثقافتنا وتتبع مصادرها في خزائن الكتب العامة عندهم ، حتى

ليظل أحدهم عشرين عاماً في تأليف كتاب عن ناحية من نواحي ثقافتنا ، يرجع فيه إلى كل ما وصلت إليه يده من مصادر قديمة من كتب علمائنا الأولين .

وبهذا الدأب المتواصل عند علمائهم ، والتفرغ الكامل له ، والرغبة الاستعمارية والدينية التي ألمحت إليها ، استطاعوا أن ينظموا الحديث عن ثقافتنا تنظيماً بهر أبصار (مثقفينا) واستولى على ألبابهم ، وخاصة عندما قارنوا بين أسلوبهم وبين أسلوب كتبنا العلمية القديمة ، فاندفعوا إلى الاقتباس من كتب المستشرقين معجبين بعلمهم وسعة اطلاعهم ، ظانين أنهم لا يقولون إلا الحق ، وأنهم — فيما خالفوا فيه الحقائق المقررة عندنا — أصح حكماً ، وأصوب رأياً ، لأنهم يسيرون وفق منهج علميٍّ دقيق لا يحيدون عنه .

ومن هنا نشأت الثقة ببحوث هؤلاء الغربيين والاعتماد على آرائهم .

ولم يتح لهؤلاء المثقفين ، أن يرجعوا إلى المصادر الاسلامية التي استقى منها المستشرقون وغيرهم من الباحثين الغربيين ، إما لصعوبة الرجوع إلى مصادرنا ، أو للرغبة في سرعة الانتاج العلمي ، أو لشهوة الإتيان بحقائق مخالفة لما هو سائد في أوساطنا العلمية والدينية وغيرها .

وكانت فترة من الزمان طغى علينا هذا الشعور بالنقص والضعف وعدم الثقة بأنفسنا إزاء الباحثين الغربيين ، وإعظامهم

وإكبارهم وعدم سوء الظن بهم ، حتى إذا بدأت حركات الوعي السياسي وبدأ استقلالنا السياسي عن سيطرة الغربيين ، إبتدأ عندنا الشعور بوجوب الاستقلال الفكري ، الشعور بشخصيتنا وقيمة حضارتنا وتراثنـــا ، الشعور بالخجل لموقفنا السابق من اتكالنا على المستشرقين في معرفـة ما عندنا من تراث وعقيدة وتشريع ، وانتشر هـــذا الوعي في أوساطنا المثقفة من دينية وغيرها ، فبدأنا نكتشف الحقيقة ، حقيقة هؤلاء المستشرقين في أبحاثهم وأهدافهم الدينية والاستعمارية من ورائها .

وما زلنا نسير في هذا الاتجاه الذي لم يستكمل قوته واستقلاله الذاتي بعد ، لأنها سنة الله في الاشياء .

ولكنا واصلون إلى هذه المرحلة بإذن الله ، حتى يأتي يوم يستغرب فيه أبناؤنا وأحفادنا كيف كنا بسطاء مخدوعين بهؤلاء المستشرقين إلى هذا الحد .

سيأتي يوم ننقلب فيه نحن إلى دراسة تراث الغربيين ونَقْدِ ما عندهم من دين وعلوم وحضارة ، وسيأتي اليوم الذي يستعمل فيه أبناؤنا وأحفادنا مقاييس النقد التي وضعها هؤلاء الغربيون ، في نقد ما عند هؤلاء الغربيين أنفسهم من عقيدة وعلوم ، فإذا هي أشد تهافتاً ، وأكثر ضعفاً ممـــا يلصقونه اليوم بعقيدتنا وعلومنا .

تُرى لو استعمل المسلمون معايير النقد العلميّ التي يستعملها المستشرقون في نقد القرآن والسنة ، في نقـــد كتبهم المقدسة

وعلومهم الموروثة ، ماذا كان يبقى لهذه الكتب المقدسة والعلوم التاريخية عندهم من قوة ؟ وماذا يكون فيها من « ثبوت » .

تُرى لو استعمل المسلمون في المستقبل معايير النقد العلمي التي يزعم المستشرقون أنهم يأخذون بها عند نقـــد تاريخنا وأئمتنا في نقد تاريـخ هذه الحضارة ومقدساتها وفاتحيها ورؤسائها وعلمائها ، ألا يخرجون بنتيجة من الشك وسوء الظن أكـــبر بكثير مما يخرج به المستشرقون بالنسبة إلى حضارتنا وعظمائنا؟ ألا تبدو هذه الحضارة مهلهلة رثة الثياب ؟ وألا يبـدو رجال هذه الحضارة من علماء وسياسيين وأدباء بصورة باهتة اللون لا أثر فيها لكرامة ولا خلق ولا ضمير ؟.

كثيراً ما أتمنى أن يتفرغ منا رجال للكتابة عن هذه الحضارة وتاريخ علمائها بنفس الأسلوب الذي يكتب به المستشرقون من تتبع الأخبار الساقطة ، وفهم النصوص على غير حقيقتها ، وقلب المحاسن إلى سيئات ، والتشكيك في كل خير يصدر عن هؤلاء الغربيين ، ولو حصل هـــذا لخرجت منه صورة لهذه الحضارة ولرجالها مضحكة مخزية ينكرها المستشرقون قبـــل غيرهم ، أتُرى أحداً ينهض منا لهذا العبء عبء استعمال المقاييس النقدية عند الغربيين بالأسلوب الذي ذكرناه لإعطاء صورة عنهم وعن عقائدهم وعن حضارتهم ليقرأها المستشرقون بأنفسهم ، فيروا كيف عادت هذه الطريقة التي زعموا انهم يستخدمونها لمعرفـة

« الحقيقة » في تاريخنا وديننا ، وبالاً عليهم ، لعلهم يخجلون ـ بعدئذ ـ من استمرارهم في التحريف والتضليل والهدم !.

وبعد، فإني أعتقد أنه قد انقضى ذلك العهد الذي كنا فيه نعتمد في مصادر معرفتنا بعلومنا وتاريخنا ، على هؤلاءالغربيين، مع أنهم ليست لهم مصادر إلا كتبنا ومدوناتنا ، ولئن كنا بها جاهلين من قبل، فلقد آن الأوان أن نرفع عن جباهنا خزي الجهالة بمصادرنا ، وعار الاتكال فى فهمها على فهم الغرباء عن لغتنا ، وصحة الاعتقاد بديننا وعلمائنا ما يريد منـــا هؤلاء المستشرقون المتعصبون ان نعتقده في حق ديننا وعلمائنا منشك وسوء ظن ، ولقد آن الأوان ان نفعل ذلك بما نفضنا عنه الغبار ونشرناه من كنوزنا العلمية الدفينة وبما ملأ نفوسنا من وَعي كريم وشعور باستقلال الشخصية .

ولئن بقي الآن من يحسن الظن بفهمهم او رأيهم في علومنا ، فليقرأ ـ إن شاء مزيداً من التفصيل ـ ما كتبته عن المستشرقين ومناقشتي لآرائهم في كتابي « السنة ومكانتهـــا في التشريـع الاسلامي ، وغيره من الكتب التي تكشف عن دسائس هؤلاء المستشرقين ، فينكشفون على حقيقتهم كما هم في الواقع ، وكما أرادوا لأنفسهم ان يكونوا .

وإذا كنا نشتد هذه الشدة في حق المحرفينوالمضللين أمثال جولد تسيهر ، فإننا لا نغمط غيرهم من المنصفين حقهم في نشر

نفائس كتبنا القديمة ، ودأبهم في البحث عن الحقيقة، فليس العلم محتكراً لأمة دون امة .

والاسلام ، وهو دين الله للعالم كـــله ، لا يمكن ان يستأثر بفهمه قوم دون قوم ، فليفهم منه من شاء ما شاء ، بشرط ان يتحلى بصفة العلماء ، وهي الانصاف والإخلاص للحق ، والبعد عن العصبية والهوى .

* * *

فهرس

مقدمة ٣
الاستشراق والمستشرقون ٧
تاريخ الاستشراق ١٣
ميدان الاستشراق ١٥
دوافع الاستشراق : ١٥
١ ـ الدافع الديني ١٥
٢ ـ الدافع الاستعماري ١٧
٣ ـ الدافع التجاري ١٨
٤ ـ الدافع السياسي ١٨
٥ ـ الدافع العلمي ١٩
أهداف الاستشراق ووسائله :
أ ـ هدف علمي مشبوه ، يهدف إلى :
١ ـ التشكيك بصحة رسالة النبي ﷺ . ٢٠
٢ ـ التشكيك بأن الاسلام دين من عند الله . ٢١
٣ ـ التشكيك في صحة الحديث النبوي . ٢١
٤ ـ التشكيك بقيمة الفقه الاسلامي الذاتية . ٢٢

٥ ـ التشكيك بقدرة اللغة العربية على مسايرة
التطور العلمي ٢٣
ب ـ الأهداف الدينية والسياسية . . . ٢٣
جـ ـ أهداف علمية خالصة لا يقصد منها الا البحث
والتمحيص ٢٤
وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم . . ٢٦
أهم المجلات التي يصدرونها ٢٨
أسماء أخطر المستشرقين المعاصرين وأهم كتبهم . ٣٠
موازين البحث عند المستشرقين . . . ٤٣
مع المستشرقين وجهاً لوجه في اوربا . . . ٥١
خاتمة البحث ٦٠

كتب للمؤلف

- هكذا علمتني الحياة ١/٢
- أخلاقنا الإجتماعية
- من روائع حضارتنا
- السيرة النبوية (دروس وعبر)
- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي
- أحكام الصيام وفلسفته
- عظماؤنا في التاريخ
- المرأة بين الفقه والقانون
- القلائد من فرائد الفوائد
- هذا هو الإسلام

من منشوراتنا

الابتعاث ومخاطره	محمد الصباغ
البرهان على سلامة القرآن من الزيادة والنقصان	سعدي ياسين
حصوننا مهددة من داخلها	محمد محمد حسين
الاسلام والحضارة الغربية	محمد محمد حسين
شبهات التغريب في غزو الفكر الديني	انور الجندي
صيحة الحق	ابو الوفا درويش
ما هي علاقة الأمة المسلمة بالأمم الأخرى	أحمد محمود الأحمد
المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية	محمود شاكر
همجية التعاليم الصهيونية	الخوري حنا مسعد
القرآن والمبشرون	محمد عزة دروزة
القرآن والملحدون	محمد عزة دروزة
نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها	عرفان عبد الحميد
الرد على الجهمية	الدارمي ـــ الشاويش
الصنم الذي هوى	مجموعة مؤلفين
صفات المنافقين	ابن قيم الجوزية

من منشوراتنا

المستشرقون والإسلام

محاولة أولية لتفهّم الأسس التاريخية
لطبيعة العلاقات الفكريّة
بين الإسلام والغربّ

تأليف

الدكتور
عرفان عبد الحميد

* * *

دراسات عن البابية والبهائية	مجموعة من الباحثين
صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني	محمود ابراهيم
القرامطة	ابن الجوزي ــ الصباغ
القرامطة	محمود شاكر